واقع الخدمات الصحية في ولاية بغداد

(1869 – 1917)

أ. م. د. لمى عبدالعزيز(*)

التمهيد

تعد الصحة واحدة من أعمدة الكيان الاجتماعي، وهي تقوم بالأساس على نوع العلاقات الاقتصادية بين الأفراد، كما انها تعكس صورة الأحوال الاجتماعية ودرجة تقدمها أو تأخرها، ولهذا يلاحظ أن الأمراض هي الأكثر انتشاراً في المجتمعات المتأخرة اقتصادياً واجتماعياً.

عاشت ولاية بغداد كحال ولايات العراق الأخرى، خلال فترة السيطرة العثمانية (1534-1917) في ظروف سيئة عم فيها الفقر والجهل والمرض، ومن ثم كانت الحالة الصحية لعموم سكانها في غاية التدهور والانحطاط، مما أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة كالطاعون والجدري والملاريا وأمراض أخرى[1].

قبل التطرق إلى واقع الخدمات الصحية في ولاية بغداد، لابد من رسم صورة واضحة للواقع الصحي الذي عاشه العراق إبان هذه الفترة، فمما لاشك فيه أن ارتفاع نسبة الأمية بين السكان وما رافق ذلك من جهل وانعدام للوعي الصحي لدى الغالبية العظمى من السكان، كل ذلك أدى إلى أن يعتقد السكان بأنه ما من وسيلة

(*) قسم التاريخ - كلية الآداب / جامعة الموصل.

(1) موسيس دير هاكوبيان، حالة العراق الصحية في نصف قرن، ط1، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1981)، ص4.

تمنع عنهم الأمراض، حسب ما أورده علي الوردي في مؤلفه (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي) سوى (التعاويذ والحجب والالتجاء إلى قبور الأولياء)[2]، ومن ثم أضحت مهنة الطب في هذه الفترة حكراً على عدد من المتطببين الذين لم تتجاوز معرفتهم على بعض الحقائق الأساسية التي تلقوها شفاهاً –وهي تقليدية – وقد توسع بعضهم في معلوماته من خلال قراءتهم لبعض الكتب القديمة، ولهذا لم يكن في عهد السيطرة العثمانية وبالذات في بدايته من يستحق ان يطلق عليه لقب طبيب في ولاية بغداد لا بل في الولايات العراقية[3].

كان للبيئة هي الأخرى تأثيرها السلبي في تردي الواقع الصحي، إذ اتسمت المدن العراقية بقلة نظافتها فضلاً عن افتقارها إلى نظام إسالة المياه[4]، فما كان من الأهالي سوى الاعتماد في سد حاجتهم للماء على مصادر المياه القريبة كالأنهار والآبار، ولم يكن ما يدل على وجود نظام لتصريف المياه[5]، ناهيك عن وجود المقابر والمدابغ ومحلات الذبح داخل المدن، فضلاً عن ازدحام المدن بالسكان قياساً إلى عدد

(2) علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، (بغداد، 1965)، ص 303.

(3) إبراهيم خليل احمد، "النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق 1258-1921"، مجلة آداب الرافدين، العدد (16)، 1986، ص252؛ ومن المفيد الإشارة إلى أن جريدة (الزوراء) ذكرت في إطار انتقادها للأوضاع الصحية التي عاشها العراق إبان فترة السيطرة العثمانية قلة الملاكات الطبية في مراكز المدن حتى مجيء وا لي بغداد مدحت باشا (1869-1872م) إذ لم تتجاوز الطبيب الواحد، جريدة (الزوراء)، العدد، 222 في 7 ذي الحجة 1288هـ/ 1872م.م

(4) ترقى أول محاولة من هذا النوع إلى والي بغداد داؤد باشا 1817-1831م)، عندما قام بنصب إحدى المضخات على نهر دجلة في محاولة منه لإيصال المياه إلى الأهالي، إلا أن هذا المشروع تعرض للإهمال بعد فترة قصيرة من إقامته. للتفاصيل، انظر: عماد عبدالسلام رؤوف، تاريخ مياه الشرب القديمة في بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 2002)، ص ص 141-144.

(5) جريدة (صدى بابل)، العدد (4) في 13 أيلول 1909م.

المساكن إبان هذه الفترة والذي شكل سبباً إضافيا لازدياد أعداد المصابين بالأمراض وخصوصاً الوبائية منها التي كانت تجتاح الولايات العراقية بين الحين والآخر[6].

أثرَ الموقع الجغرافي للعراق تأثيراً سلبياً لاسيما قربه من إيران والهند في تفشي العديد من الأمراض الوبائية والسارية بين سكانه والتي كانت تنقل إليه بوساطة القوافل التجارية وزوار العتبات المقدسة[7].

أمام الأوضاع الصحية المتردية التي عاشتها المدن العراقية وافتقارها إلى ابسط الخدمات الصحية. لم يكن مستغرباً ان تجتاحها الأمراض الوبائية وبشكل مخيف ومريع ذهب ضحيتها أعداد كبيرة من السكان، وقدر تعلق الأمر بموضوع بحثنا عن ولاية بغداد، فقد تفشى فيها وباء الطاعون في الأعوام، 1619م، 1635م، 1638م، 1669م، 1689م[8]، 1690م، 1718م، 1739م، 1772م[9]، 1773م، 1774م، 1783م، 1802م، 1803م، 1820م، 1831م، 1867م، 1871م، 1875م، 1881م، 1887م، أما مرض الكوليرا فقد اجتاح ولاية بغداد وللأعوام 1820م، 1846م، 1865م، 1871م، 1887م، 1889م، 1894م، 1899م،

(6) جريدة (الزوراء)، العدد (1441) في 9 ذي الحجة 1307هـ/ 1889م.

(7) جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج1، (بيروت، 1971)، ص 280.

(8) باقر أمين الورد، حوادث بغداد في 12 قرن، مكتبة النهضة، (بغداد، 1989)، ص169، ص199، ص200، ص206.

(9) جاء في احد المصادر أن هذا الوباء اجتاح العراق منذ سنة 1772م، وكانت مدينة بغداد إحدى المدن التي اجتاحها هذا الوباء إذ قدرت بعض المصادر عدد الضحايا بنحو ألف شخص يومياً، وعلى ما يبدو أن رقم الضحايا هذا مبالغ فيه إذا ما قورن بأعداد سكان المدينة آنذاك، لكنه يدلل على ضخامة أعداد الضحايا. للمزيد ينظر: ياسين العمري، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف، (النجف، 1974)، ص 135.

1904م، 1910م[10]، ويشير احد الباحثين في مسح دقيق إلى محلات بغداد القديمة التي تفشى فيها وباء الطاعون سنة (1887م) إبان ولاية مصطفى عاصم باشا (1886-1889م)، والذي حصد أرواح ألفٍ وثمانمائة وسبع وستين من سكانها[11].

لم تقتصر الأمراض التي اجتاحت ولاية بغداد على هذين الوبائين، بل اجتاحتها أمراض أخرى كالحمى التيفوئيدية والملاريا، ومما زاد في تردي الأوضاع الصحية في عموم الولايات العراقية ومنها بغداد، عدم اتخاذ السلطات المحلية أية إجراءات وقائية لتفادي انتشار مثل هذه الأمراض إلى المناطق المجاورة، واقتصرت إجراءاتها الوقائية على منع الاتصال بين الأماكن المصابة وبقية المناطق المجاورة[12].

اثر ذلك وفي محاولة من السلطان عبدالحميد الثاني (1876-1909م) للوقوف على الواقع الصحي لعدد من الولايات العربية ومنها بغداد، أوعز بتشكيل هيئة طبية[13]، أسندت رئاستها إلى الرائد الطبيب عبدالحكيم حكمت [*]، مهمتها إجراء مسح طبي ومن ثم كتابة تقرير تفصيلي عن الحالة الصحية لها، وبيان أسباب

(10) ج، ج، لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي؛ ج 6، طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، (الدوحة، د.ت)، ص ص3659-3682.

(11) عبدالحكيم حكمت، المسح الطبي لولاية بغداد 1889، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، (زغوان، 1997)، ص128.

(12) لوريمر، المصدر السابق، ص 2671.

(13) من المفيد الإشارة إلى أن هذه الهيئة الطبية استغرق عملها لانجاز مهمتها ثلاث سنوات (1887-1890) إذ قامت بإجراء المسح الطبي لخمس من الولايات العربية وهي: (بغداد، طرابلس الغرب، بنغازي، الحجاز، اليمن)، للاستزادة، ينظر: محمود الحاج قاسم، "الأمراض والأوبئة التي اجتاحت العراق في العهد العثماني ووسائل الوقاية منها"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد (25)، آب 2002، ص 252.

(*) أحد أساتذة كلية الطب في جامعة استانبول.

انتشار الأمراض وسبل الوقاية منها، وبالفعل تقدمت اللجنة بتوصياتها للنهوض بالواقع الصحي لهذه الولايات ومنها ولاية بغداد، من خلال مجموعة من المقترحات لعل في مقدمتها المباشرة بإنشاء عدد من مراكز الحجر الصحي (الكرنتينة) والمباشرة بنصب شبكة إسالة ماء الشرب وإنشاء مجارٍ لتصريف المياه الثقيلة.

النشاطات الطبية للإرساليات التبشيرية في ولاية بغداد

شكل افتقار العراق إلى الخدمات الصحية الرسمية نقطة استقطاب للعديد من الإرساليات التي توافدت على العراق، اذ كانت مهنة الطب احدى الأساليب العلمية التي اتخذتها الحركة التبشيرية منذ القرن السابع عشر، ومن ثم إدراك أعضاء هذه الإرساليات أن تحقيق مثل هذه الخدمات كفيل بتامين الاحتكاك المباشر بالناس، ومن ثم تامين الوصول إلى الغايات التبشيرية لان الناس كانوا بأمس الحاجة إلى مثل هذه الخدمات، ويشير إلى ذلك احد المبشرين، بقوله: "لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المعلقة ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة وأداة لتحطيم المعارضة"[14]. وقدر تعلق الأمر بولاية بغداد بادرت جمعية الإرسالية الكنسية [*]. (Church Missonary society) نشاطاتها الطبية بافتتاح احد أعضاء هذه الإرسالية ويدعى (د. ستون Dr. H. M. Stoon) عيادة لمعالجة المرضى لكنها لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما اضطر إلى إغلاقها [15]. وفي عام 1900م بادرت

(14) عبدالملك خلف التميمي، التبشير في منطقة الخليج العربي، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي، مؤسسة الكميل، (الكويت، 1988)، ص 76.

(*) جمعية انكليكانية تأسست في لندن عام 1799، افتتحت لها محطة فرعية في بغداد عام 1882 وبجهود من القس بروس Rev. Bruce ، للتفاصيل، ينظر: لوريمر، المصدر السابق، ص ص 3436-3437.

(15) حارث يوسف عنيمة، البروتستانت والإنجيليون في العراق، مطبعة الناشر المكتبي، (بغداد، 1998)، ص ص 81-82.

الإرسالية ذاتها إلى افتتاح مستشفى خاص بها [16]، والذي تألف من عيادة خارجية وأربعة أسرة للمرضى الذين هم بحاجة إلى إجراء عمليات جراحية [17]، إذ التحق بالعمل في هذا المستشفى طبيبان من أطباء الإرسالية، وهما كل من (د. ستون ود. ستورك Dr.Sturrok) وعلى الرغم من جهود المستشفى العلاجية فانه واجه صعوبات عدة، يقف في مقدمتها موقف السلطات العثمانية الرامية إلى إغلاقه، فضلا عن قلة ملاكاته الطبية التي قادت في النهاية إلى إغلاقه مؤقتاً عام 1903، ليعاد افتتاحه من جديد وبملاكات طبية مختصة [18]، كما ضم المستشفى صيدلية تولى الإشراف عليها عدد من ذوي الاختصاص منهم الصيدلي العراقي (داؤد فتو) وعدد من المساعدين منهم (توماس غريب وجورج غريب) وحبيب حسو)[19].

لم تقتصر نشاطات المستشفى على معالجة المرضى داخل المستشفى بل تعدتها إلى زيادة المرضى في منازلهم، ويشير احد المصادر إلى وجود (1076) مريضا استفادوا من الخدمات التي قدمتها المستشفى في منازلهم[20].

كان النجاح الذي حققه هذا المستشفى حافزاً للإرسالية لافتتاح مستشفى آخر في محلة السعدون ببغداد، إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون تحقيق ذلك.

(16) بييردي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن 1814-1914، ترجمة أكرم فاضل، (بغداد، 1968)، ص145.

(17) من الجدير بالذكر انه بمرور الوقت وأمام الاقبال المتزايد على المستشفى، ارتفعت الطاقة الاستيعابية لهذا المستشفى لتصل إلى (18) سريراً عام 1906، ليزداد العدد إلى (32) سريراً عام 1915، عنيمة، المصدر السابق، ص 82.

(18) تألفت الهيئة المشرفة لإدارة المستشفى عشية الحرب العالمية الأولى من الطبيب جونسن ستانلي (Dr. G.W.Stanely)، والطبيبة ايدي هيل (Dr.E.Hill) ، وملاك تمريض مؤلف من الممرضات: اندرتون (Anderton) ، وكوتسل (Gutsll) وويلكس (A.E.Wilkes) ، وريان (E.A.Ryan) فضلا عن مجموعة من الممرضات العراقيات اللواتي تدربن على أعمال التمريض، المصدر نفسه.

(19) لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص 3444.

(20) غنيمة، المصدر السابق، ص 82.

وفي عام 1914 قام المبشرون (الآباء الكرمليون) بافتتاح صيدلية ببغداد فضلا عن خدمات تقديم الدواء[21]، قدمت هذه الصيدلية خدمات علاجية للأهالي من خلال انتدابها لعدد من الأطباء، منهم: (د.ارام افندي) أختصاصي الجراحة والعيون[22].

كما تجدر الإشارة هنا إلى الدور الذي اضطلع به مستوصف المقيمية البريطانية العاملة في العراق، إذ عُدَّ (د. جيمس شورت Dr. J. Short) أول طبيب يلتحق بهذه المقيمية وكان ذلك عام 1800[23]، واليه الفضل في إدخال نظام التطعيم ضد الأمراض إلى بغداد ولأول مرة، عندما استفاد من الأمصال التي وصلت إلى المقيمية من العاصمة النمساوية فيينا في إجراء أول تلقيح ضد وباء الطاعون الذي اجتاح ولايتي بغداد والبصرة من عام 1802[24]، كما قدم ملاك خدماته العلاجية

(21) من المفيد الإشارة إلى أن عدد المرضى المراجعين للصيدلية وخلال شهر واحد من افتتاحها كان (1000) مريض يومياً، انظر: جريدة (صدى بابل)، العدد (230) في 15 آذار 1914.

(22) المصدر نفسه، العدد (227) في 22 شباط 1914.

(23) فواز الدليمي، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق 1869-1914، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد، 1989)، ص 70.

(24) لوريمر، المصدر السابق، ج 6، ص 3709؛ ومن الجدير بالذكر انه برزت محاولات أخرى لإجراء التطعيم وبلقاحات أخرى لعل أبرزها محاولة التاجر التركي (اوانيس مراديان) الذي حاول ولأكثر من مرة إدخال التطعيم ضد مرضى الجدري ولم ينجح في ذلك إلا في سنة 1809م وبمساعدة طبيب المقيمية (شورت Short) وعلى مدار (9) سنوات تمكنت من تلقيح (5400) طفل، ولم تقتصر محاولاته على بغداد، بل حاول نقل تلك المحاولة إلى باقي المدن العراقية، ومنها الموصل من خلال تدريب عدد من الأشخاص لإجراء التطعيم، للتفاصيل، انظر: عبدالحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، مطبعة اسعد، (بغداد، 1967)، ص ص 147-148.

للمرضى الذين وصل عددهم إلى (776) مراجعاً في شباط 1914[25]، ليرتفع هذا العدد إلى (1220) مراجعاً في أيار 1914[26].

مما تقدم يلحظ انعدام الخدمات الصحية الرسمية (الحكومية) في ولاية بغداد حتى عام (1869م) وهي السنة التي تولى فيها مدحت باشا (1869-1872م) شؤون الولاية، عدتها معظم المصادر التاريخية نقطة تحول في الخدمات الصحية.

الخدمات الصحية (الرسمية) في ولاية بغداد 1869-1914

1. المستشفيات

لم تتفق المصادر التاريخية على تحديد تاريخ لافتتاح أول مؤسسة صحية رسمية في ولاية بغداد، ففي الوقت الذي ترجح بعض المصادر، أن أول محاولة رسمية من هذا القبيل تعود إلى عام 1766م، عندما تم افتتاح ما عرف (بدار العزل)[27]، نجد مصادر أخرى تكاد تجمع أن أول محاولة جادة كانت لوالي بغداد (مدحت باشا) (1869-1872) عندما قام بافتتاح أول مؤسسة صحية علاجية رسمية عرفت بـ (مشفى الغرباء)، التي جرى افتتاحها عام 1872[28].

(25) India Office Record, LIP + 5/10/212/6 Summary of events in Turkish Iraq during Febr6uary, 1914, p. 11.

(26) Ibid, May, 1914, p. 8.

(27) المصدر نفسه.

(28) كمال السامرائي، الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث (بغداد، 1981)، ص 66؛ عبدالرزاق الهلالي، معجم العراق، ج2، مطبعة النجاح، (بغداد، 1953)، ص 206؛ عبدالكريم العلاف، بغداد القديمة، ط2، (الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999)، ص 30.

أما قبل التاريخ فقد أسند إلى دائرة البلديات تقديم مثل هكذا خدمات، إذ أوجبَ نظام الإدارة العمومية الصادر عام 1871، على كل بلدية من بلديات مدن الولايات العثمانية تعيين طبيب ومعاون له في المدن الكبيرة[29]، لمعاينة المرضى مجاناً وبمعدل مرتين في الأسبوع في سجل تعده إدارة البلدية، في الوقت نفسه أوجب هذا النظام على بلدية كل مدينة افتتاح صيدلية عامة أسند إليها تزويد الفقراء بالأدوية مجاناً[30].

يعود الفضل إلى والي بغداد (مدحت باشا) إنشاء أول مستشفى حكومي في جانب الكرخ، الذي جرى افتتاحه عام 1872 وأمام افتقار ميزانية هذه الولاية إلى التخصيصات المالية الكافية، فقد ناشد (مدحت باشا) الأهالي لتقديم التبرعات المالية لإنشاء هذا المستشفى، وقد لاقت مناشدة الوالي استجابة من الأهالي الذين سارعوا إلى تقديم الأموال لإنشاء المستشفى[31]. وقد استخدمت مواد البناء من خرائب سور بغداد المهدم ولاسيما الطابوق[32].

(29) نوفل نعمة الله نوفل، الدستور، المجلد الثاني، (بيروت، 1301هـ)، ص 713.

(30) وعلى ما يظهر أن البلديات لم تلتزم بشكل عام والبلديات التابعة لولاية بغداد بتقديم مثل هكذا خدمات، بدليل كثرة شكايات الأهالي من افتقار بعض المناطق إلى مثل هكذا خدمات، جريدة (الرقيب)، العدد (131) في 22 جمادي الآخرة 1328هـ/ 1910م.

(31) أوردت جريدة (الزوراء) وعلى صدر صفحاتها الأولى قوائم بأسماء المتبرعين لإنشاء هذا المستشفى، ينظر: جريدة (الزوراء)، الأعداد: 12 في 23 جمادي الأولى سنة 1286هـ / 1869م؛ العدد (13) في جمادي الآخرة 1286هـ؛ العدد (14) في 8 جمادي الآخرة 1286هـ.

(32) William Fogg, Arabista nintstress through Egypt Nreubic and persain to Baghdad Tour, (London, 1875), p. 222.

احتوى المستشفى على (50) سريراً[33] لأقسامه الثلاثة، الجراحية، الباطنية، الزهرية، وألحق به شعبة متواضعة للإسعاف التي كانت تقدم خدماتها العلاجية مجاناً[34]. أما إدارة المستشفى فقد تناوبت عليها بلديتا بغداد الأولى والثالثة[35].

عانى هذا المستشفى من مشاكل عديدة، تقف في مقدمتها افتقاره الى الملاكات الطبية لممارسة الطب والتي اقتصرت على بعض الأطباء الأجانب، لعل أشهرهم (لازار)[*]، لذلك ناشد (مدحت باشا) السلطات الطبية في استانبول تزويد المستشفى المذكور ببعض الملاكات الطبية[36].

تعرض المستشفى للإهمال بعد عزل (مدحت باشا)، ولم ينتظم في عمله إلا بعد إعادة ترميمه من قبل والي بغداد (قدري باشا) (1878/4/4-1878/12/12م) الذي أعاد ترتيب مأمورية وملازمية وتهيئة لوازمه من الأدوية والآلات والأدوات الطبية[37]، فضلاً عن استحداث جناح للمساجين والمعاقين والمعتوهين [38]، إلا أن

(33) العلوجي، المصدر السابق، ص 249.

(34) للاستزادة، ينظر: هاشم الوتري ومعمر الشابندر، تاريخ الطب في العراق مع نشوء وتقدم الكلية الطبية في العراق، (بغداد، 1939)، ص ص 53-54.

(35) نظراً إلى سعة مدينة بغداد فقد أسست فيها ثلاث دوائر بلدية، ومن الجدير بالذكر ان بلدية بغداد الأولى استمرت في إشرافها على هذا المستشفى حتى عام 1883، وفي هذا العام دخل هذا المستشفى ضمن دائرة إشراف بلدية بغداد الثالثة واستمر ذلك حتى عام 1892 ليدخل هذا المستشفى ضمن دائرة إشراف بلدية بغداد الأولى، للاستزادة، ينظر: سالنامة ولاية بغداد للسنوات 1299هـ/ 1881م؛ 1300هـ/ 1882م، 1310هـ/ 1892م، ص 64، ص 115، ص 133.

(*) لازار: طبيب نمساوي عمل موظفاً في البلدية.

(36) جريدة (الزوراء)، العدد (12) في 23 جمادي الأولى 1286هـ/ 1869م.

(37) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج 8، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد، 1956)، ص ص 44-45.

(38) العلوجي، المصدر السابق، ص 150.

المستشفى المذكور سرعان ما أصابه الإهمال ولاسيما بعد نقل الوالي (قدري باشا)، ثم انتهى أمر المستشفى نهائياً عام 1309هـ/ 1891م[39].

عندما تولى الوالي (نامق باشا الصغير) (1899-1902)، ولاية بغداد قام بإنشاء ثاني مستشفى في بغداد بجانب الرصافة شمال باب المعظم، والذي أطلق عليه تسمية (مستشفى نامق باشا) وقد جرى افتتاحه في الأول من ذي الحجة من عام 1318هـ/ 1901م[40]، لقد عدَّ هذا المستشفى أفضل من المستشفيات السابقة لعدة أسباب من أبرزها: تعدد أقسامه التي اشتملت على أقسام عدة، باطنية، جراحية، عيون، نسائية، وردهة خاصة للعمليات، فضلا عن قسم خاص للمرضى المجانين وصيدلية، كما الحق بالمستشفى عدد من المرافق الخدمية [41]. واحتوى المستشفى على شعبة خاصة للتلقيحات [42]. أما عن ملاك المستشفى الطبي فقد ضم عدداً من الأطباء الأخصائيين من أمثال: (د. نظام الدين للأمراض الباطنية، د. ذهني بيك للأمراض الجلدية، د. سامي سلمان لأمراض العيون، د. مظفر بيك للأمراض الزهرية)، فضلا عن ملاك المستشفى من الممرضين والموظفين والمستخدمين[43].

(39) في هذه السنة تم نقل محتويات المستشفى إلى المستشفى الذي أنشأه نامق باشا عام 1901؛ في حين تم نقل عائدية بناية المستشفى إلى دائرة المعارف عندما قامت بتحويله إلى مدرسة لتعليم الصغار، جريدة (الزوراء)، العدد (1909) في 4 ربيع الآخرة سنة 1319هـ/ 1901م.

(40) الوتري، المصدر السابق، ص 54.

(41) جريدة (الزوراء)، العدد (1873) في 2 ربيع الأول 1318هـ/ 1900م.

(42) تألفت هذه الشعبة من ثلاثة أبنية تم إلحاقها بالمستشفى المذكور وهي: بناية الدائرة، وبنايتان خصّصتا لتلقيح الجدري وداء الكلب. سالنامة ولاية بغداد لسنة 1319هـ/ 1902م.

(43) سالنامة ولاية بغداد لسنة 1319هـ/ 1902م.

أسندت مهمة إدارة المستشفى والإنفاق عليها إلى دائرة بلدية بغداد الأولى[44]، وعلى الرغم من أن الطاقة الاستيعابية لهذا المستشفى وصلت إلى (130) مريضاً، فإن البلدية لم تكن تسمح باستقبال أكثر من (80) مريضاً بسبب الإنفاق المالي، لان البلدية تولت دفع نفقات إيواء المرضى وإطعامهم وعلاجهم بكلفة يومية تقدر بثلاثة قروش عن كل مريض[45].

استمر المستشفى بتقديم خدماته للمرضى حتى قام الوالي (نجم الدين منلا) (1908-1909م)، بإعادته إلى ميناء القديم في جانب الكرخ (مستشفى الغرباء)، ونقل له جميع تجهيزات مستشفى نامق باشا، فيما تولت دائرة البلدية الثالثة مهمة الإشراف عليه[46].

عندما تولى محمد شوكت باشا ولاية بغداد (1909-1910م)، تعرّض المستشفى للإهمال، إذ عانى من مشاكل عديدة لعل أخطرها افتقاره إلى الملاكات الطبية[47]، فقد بقيت هذه المشكلة إحدى المشاكل الرئيسة التي أعاقت العمل في

(44) قبل أن تتولى بلدية بغداد مهمة الإنفاق على هذا المستشفى، كان يتم استيفاء نفقات المستشفى من واردات العبور على جسر الخر، وهو جسر حديدي يقع على نهر الخر جرى افتتاحه 1316هـ/ 1898م، التي كانت تصل الى ثلاثة آلاف ليرة تركية سنوياً وإذا ما تعذر تغطية هذه النفقات كانت بلدية بغداد تتولى تغطية باقي نفقات هذا المستشفى، جريدة (الزوراء)، العدد (1904) في 7 صفر 1389هـ/ 1901م؛ العلوجي، المصدر سابق، ص 153.

(45) القرش: عملة عثمانية فضية شاع استخدامها في الدولة العثمانية في نهاية القرن السابع عشر، وكانت تعادل (40 بارة) أي (120) اقجة أي ما يعادل (9 فلوس). غانم محمد علي، النظام المالي العثماني في العراق 1869-1914 رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، (جامعة الموصل، 1989)، ص165.

(46) الوتري والشابندر، المصدر السابق، ص ص 54-56.

(47) قام الوالي محمد شوكت باشا بنقل مجموعة من العناصر الطبية الكفوءة التابعة للمستشفى إلى الأستانة لعل أبرزهم (د. نظام الدين ود. ذهني). العلوجي، المصدر السابق، ص52.

المستشفى حتى قدوم والي بغداد ناظم باشا الثاني (1910-1911م)[48]، عندما كلف (د. محمد كاني)[*] بإدارة المستشفى، إذ قام بجهود كبيرة من اجل إصلاح المستشفى والعمل للعودة به إلى سابق عهده، ومن ضمن إجراءات د. كاني) النوعية إسناده مهنة التمريض إلى النساء واختيار بعضٍ من الراهبات للقيام بهذه المهمة [49].

لقد كان للجهود التي بذلها (د. كاني) صداها الإعلامي، إذ تابعت صحف تلك الفترة، ولاسيما صحيفتي (الزوراء) و (صدى بابل) نشاطاته الطبية، فعلى سبيل المثال، بلغ مجموع العمليات الجراحية التي أجريت في هذا المستشفى وبإشراف من (د. كاني) وللفترة من آذار 1911 وحتى نهاية آب من العام نفسه، (122) عملية جراحية، تراوحت هذه العمليات بين الصغرى والكبرى تكللت معظمها بالنجاح[50]. كما أسهم هذا المستشفى في تقديم الخدمات الصحية التي لم تكن معروفة آنذاك، فقد استطاع (د. مظفر بيك) المتخصص بالأمراض الزهرية التوصل إلى عقار خاص لمعالجة بعض هذه الأمراض، وذلك عام 1332هـ/ 1914م، في الوقت ذاته ساهم المستشفى في تحضير كميات كبيرة من هذا العقار

(48) من الجدير بالذكر أن وباء الكوليرا كان قد انتشر في ولاية بغداد خلال تلك الفترة مما حدا بوالي بغداد ناظم باشا إلى اتخاذ عدد من الإجراءات والتدابير الصحية للحد من انتشار هذا الوباء، للتفاصيل، ينظر: جريدة (صدى بابل)، العدد (64) في 28 تشرين الأول 1328هـ/ 1910م.

(*) محمد كاني: طبيب تركي الأصل متخصص بالجراحة النسائية. للتفاصيل ينظر: جريدة (صدى بابل)، العدد (203) في 17 أيلول 1913م.

(49) جريدة (صدى بابل)، العدد (210) في 2 تشرين الأول 1913.

(50) جريدة (الزوراء)، العدد (2340) في 22 أيلول 1329هـ/ 1911م، بينما قام (د. كاني) وحده بإجراء ما لا يقل عن (60) عملية خلال شهر أيلول عام 1331هـ/ 1913م، جريدة (صدى بابل)، العدد (203) في 17 أيلول 1331هـ/ 1913م.

الذي تم توزيعه على المستشفى وصيدليات البلدية فضلا عن عدد من العيادات الأهلية لأجل معالجة المصابين ولاسيما الفقراء منهم مجاناً[51].

استمر هذا المستشفى في تقديم خدماته العلاجية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد في آذار 1917، فقد قامت السلطات العثمانية بإخلاء المستشفى المذكور ونقلوا محتوياته وسجلاته كافة، وأتلفوا بعضها[52].

كما قام والي بغداد (بالوكالة) رجب باشا (1895-1897م) بافتتاح مستشفى ثالث في بغداد، أطلق عليه (المستشفى المجيدي) (مجيدية خسنه خانسي)[*]، وقد تم تخصيصه للمرضى من الضباط والجنود التابعين للجيش العثماني، وأسندت مهمة إدارة المستشفى إلى الأطباء العسكريين الملتحقين بالقطعات العسكرية العثمانية في العراق[53].

لم تجر أية إصلاحات على هذا المستشفى حتى عام 1326هـ/ 1908م، باستثناء محاولة واحدة قام بها رئيس بلدية بغداد (إسماعيل بسيم) التي اشتملت على زيادة ملاكات المستشفى الطبية حتى وصلت إلى (14) طبيباً قابلتها زيادة في أعداد الملاكات الخدمية التابعة للمستشفى حتى وصلت إلى (168) عاملاً، ثم خطت هذه

(51) جريدة (صدى بابل)، العدد (229) في 17 آذار 1332هـ/ 1914م.

(52) العلاف، المصدر السابق، ص 33.

(*) أطلق عليها هذا الاسم تيمناً بالسلطان العثماني عبدالحميد (1839-1861) إذ تم تشييد هذا المستشفى على ارض تعود عائديتها إلى والي بغداد محمد نجيب باشا (1842-1849)، على الضفة اليسرى لنهر دجلة بجانب الرصافة، أديب توفيق الفكيكي، تاريخ أعلام الطب العراقي الحديث، ج 1، (بغداد، 1989)، ص ص 27-28.

(53) متعب خلف الجابري، تاريخ التطور الصحي في العراق، للمدة من عام 1914-1932، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الصرة، 1989)، ص ص 18019.

الجهود خطوات جديدة على يد والي بغداد (ناظم باشا الثاني) الذي حرص على تزويد المستشفى بالاجهزة الطبية الحديثة، كما تم استحداث شعب جديدة وبتخصصات مختلفة كالباطنية والعصبية، فضلا عن تزويد المستشفى بصيدلية تابعة له[54].

استمر هذا المستشفى في تقديم خدماته العلاجية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد، والذي اتخذته القيادة العسكرية للجيش البريطاني المحتل مقراً لمستشفاها العسكرية، تحت اسم المستشفى البريطاني الثاني رقم (23) [55].

فضلاً عن هذه المستشفيات جرى افتتاح مستشفيين إضافيين في بغداد هما مستشفى (دار المعلمين) الذي افتتح عام 1330هـ/ 1912م[56]، ومستشفى (سبع ابكار)[*] الذي اخذ يستقبل جرحى الحرب العالمية الأولى وبشكل يومي[57].

أما فيما يتعلق بالأقضية التابعة لولاية بغداد، فقد استفاد البعض منها من بعض الخدمات الصحية التي قدمتها بعض المستشفيات التي تم إنشاؤها خلال هذه

(54) للاستزادة حول التغييرات التي طرأت على المستشفى المذكور، يراجع: كمال اوزباي، "الطبابة العسكرية في العراق أواخر الدولة العثمانية" المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، والمعلومات، العدد (22)، أيلول 2000، ص 145.

(55) كاثلين ام. لانكلي: تصنيع العراق، ترجمة محمد حامد الطائي، د. خطاب صكار العاني، مكتب دار المتنبي، (بغداد، 1963) ، ص 218.

(56) جريدة (صدى بابل)، العدد (132) في 28 نيسان 1912.

(*) السبع ابكار، وهي تسمية لأحد مناطق بغداد.

(57) محمد صالح ربيع العجيلي، الخدمات الصحية لمدينة بغداد، "دراسة في جغرافية المدن"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد، 1989)، ص 22.

الفترة، إذ أشارت سالنامة ولاية بغداد إلى وجود مستشفى (عسكري) في قضاء الحلة[58].

وأمام شكاوي الأهالي المستمرة من افتقار عدد من الأقضية التابعة لولاية بغداد إلى مثل هكذا خدمات [59]، صدرت الأوامر السلطانية بإنشاء مستشفيين حكوميين في مدينتي كربلاء والنجف وتحديداً عام 1326هـ/ 1908م، إذ تطرق احد المصادر إلى ما يؤيد افتتاح هذا المستشفى في مدينة كربلاء [60]، كما استفادت هذه المدينة من الخدمات العلاجية التي كان يقدمها مستشفى آخر جرى افتتاحه في المدينة ذاتها وبطاقة استيعابية قدرها (30) سريراً[61]، وفي الوقت نفسه لم يلحظ أية إشارة تفيد بافتتاح مستشفى مدينة النجف وحتى نهاية الحكم العثماني في ولاية بغداد[62].

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى الدور الذي اضطلعت به المستشفيات الأهلية والتي جرى افتتاحها في هذه الولاية، فعلى سبيل المثال، أشار الرحالة وليس بدج (Walis Bidge) الذي زار بغداد عام (1888م) إلى وجود مستشفى أهلي

(58) تألف الملاك الطبي لهذا المستشفى عام 1317هـ/ 1899م، من طبيب عام وطبيب جراح فضلا عن عدد من الممرضين وموظفي الخدمة. يراجع: سالنامة ولاية بغداد، لسنة 1317هـ/ 1899م، ص 164.

(59) جريدة (الزوراء)، العدد (2085) في 15 جمادي الأولى 1324هـ/ 1906م.

(60) "سفرة إلى كربلاء والحلة ونواحيها"، مجلة لغة العرب، م1، ج4، تشرين الأول 1911، ص 158.

(61) جريدة (الزوراء)، العدد (2514) في 21 جمادي الآخرة 1332هـ/ 1914م، ومن الجدير بالذكر ان مجلس ولاية بغداد كان قد صادق على إنشاء مستشفيين في قضائي الكاظمية وسامراء على أن تستوفى تكاليف إنشائهما من تبرعات الأهالي، يراجع، المصدر نفسه، العدد (2124) في 7 ربيع الأول 1325هـ/ 1907م إلا اننا لم نعثر في المصادر الرسمية للولاية – السالنامة – على أية إشارة تؤكد إنشاء هاتين المستشفيين.

(62) جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، دار الشؤون الثقافية، ج1،(بغداد،2001)، ص404.

يعود إلى احد الأشخاص البغداديين، الذي كان يقوم بمعالجة الأهالي مجانا[63]، وفي عام 1910 افتتح مستشفى (مير الياس) [64] الذي تولى تشييده احد الأثرياء اليهود ويدعي (مير أفندي الياهو)[65].

لقد عانى القطاع الصحي في ولاية بغداد من قلة الملاكات الطبية (الأهلية)، فضلاً عن ندرة المستشفيات، التي لم تتناسب مع عدد المرضى، إذ لم يتعدّ عدد الأطباء الأهليين الذين مارسوا الطب في مركز الولاية (بغداد) وحتى أواخر القرن التاسع عشر، العشرين طبيباً كان معظمهم من الأجانب، منهم (د. ادلر Adler) وهو طبيب نمساوي كان مستخدماً في الجيش العثماني ثم افتتح عيادة له في منزله بمحلة رأس القرية، و (د. لازار) المشار إليه آنفاً، و (د. يانقو Yanko) وكان طبيباً عسكرياً ثم استقال واخذ يمارس الطب في عيادته، و(د. راش Rash) الذي كانت عيادته في محلة التوراة، و (د. لبي Lebi)[66]، كما كان يوجد طبيبان لعلاج الإناث في محلة سوق الغزل وهما: (د. نعوم)، و (د. عزت أفندي)[67].

(63) وليس بدج، رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل، ج1، (بغداد، 1968)، ص 85.

(64) يقع هذا المستشفى خارج باب المعظم قبالة ثكنة الخيالة التي عرفت باسم (الكرنتينة)، إذ ظل هذا المستشفى قائما حتى عام 1974 وتم التخلي عنه وقد عرف باسم مستشفى الشعب. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط 1، منشورات مكتبة اليقظة العربية، (بغداد، 1985)، ص 97؛ العلاف، المصدر السابق، ص 35.

(65) جريدة (صدى بابل)، العدد (66) في 20 تشرين الأول 1910.

(66) جريدة (الزوراء) العدد (222) في ذي الحجة 1288هـ/ 1871م.

(67) محمد رؤوف الشيخلي، مراحل الحياة في بغداد في القرون المظلمة وما بعدها، ج1، (البصرة، 1972)، ص99.

وأمام قلة الأطباء المؤهلين علمياً وبسبب قلة الوعي الثقافي الصحي وتفشي الأمية والجهل، سادت الخرافات والأوهام بين الناس وراج من كان يطلق عليهم المتطببون وكان اغلبهم من الدجالين (المشعوذين)، اشتهر منهم (حكيم حداد) وهو متطبب لا يحمل شهادة طبية جاء إلى بغداد من إيران عام 1885م فذاع صيته، و(السيد احمد) الذي سكن محلة الدهانة، و (الأسطة عباس)، الذي اشتهر بممارسة الجراحة النسائية، ومن النساء اشتهرت (فرحة خاتون) في طب العيون[68]. كانت الأدوية التي يتعاطى بها هؤلاء المتطببون هي العقاقير والأعشاب، كما كان يطوف طرقات بغداد بعض البدو وكانوا يعالجون الناس بـ (الكي) أو الأعشاب كان تطلق عليهم تسمية (الصليبي) [69]، وفي ذات الوقت راجت بين الناس ظاهرة (الوصفات والأعشاب العطارية) التي كانت يعطيها المتطببون أو العجائز أو المتوافرة لدى العطارين في الأسواق[70]. وعلى الرغم من قيام عدد من المثقفين بتحذير وتنبيه الناس عن طريق كتابة المقالات في صحيفة (الزوراء) من مغبة الانسياق وراء مثل هكذا وصفات لمخاطرها الصحية، فإن ولاية بغداد بقيت ميداناً فسيحاً لعبث الدجالين والمشعوذين ومرتعاً خصباً لأصحاب الخرافات[71].

(68) الوتري والشابندر، المصدر السابق، ص ص 57-60، العلاف، المصدر السابق، ص 31.

(69) العلوجي، المصدر السابق، ص 146.

(70) الشيخلي، المصدر السابق، ص 99.

(71) جريدة الزوراء، العدد (321) في 6 ذي الحجة 1289هـ/ 1872م.

أما ما يخص الصيدليات فقد أشار احد المصادر إلى وجود (6) صيدليات في ولاية بغداد[72]، ثم ازداد هذا العدد إلى (13) صيدلية عام 1330هـ/ 1912م[73]، كما أشارت جريدة (صدى بابل) إلى وجود صيدلية واحدة في كلٍّ من قضائي كربلاء[74] والحلة[75].

وجهت انتقادات كثيرة إلى هذه الصيدليات فضلا عن قلة أعدادها تركزت الغالبية العظمى في مركز ولاية بغداد [76]، أما عن مصدر تجهيز هذه الصيدليات بالأدوية فكان يتم من قبل بعض التجار المستوردين للأدوية، وفي هذا السياق أشار الرحالة بدج إلى قيام أحد تجار بغداد باستيراد صناديق الأدوية المحتوية على سلفات الكينينن. والكلوردين وما إلى ذلك [77]، إلا أن هذا الاستيراد لا يخلو من السلبيات، إذ استغل هؤلاء التجار الحاجة إلى الأدوية، فكانوا يبيعون أدويتهم التي انتهى أمد صلاحياتها للاستعمال وبأسعار عالية مما اجبر الكثير من الفقراء على عدم شراء الدواء لضعف إمكانياتهم المادية[78]، وأمام ذاك فضل الكثيرون الاعتماد على الأعشاب والوصفات الموجودة لدى العطارين.

(72) علي علاء الدين الالوسي، الدرر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق جمال الدين الالوسي وعبدالجبار الجبوري، (بغداد، 1967)، ص 117.

(73) سالنامة ولاية بغداد لسنة 1329هـ/ 1911م، ص 186.

(74) جريدة (صدى بابل)، العدد (230) في 15 آذار 1914م.

(75) جريدة (الرقيب)، العدد (131) في 22 جمادي الآخر 1328هـ/ 1910م.

(76) الشيخلي، المصدر السابق، ص 99.

(77) بدج، المصدر السابق، ص 85.

(78) جريدة (الزوراء)، العدد (804) في 11 1296هـ/ 1879م.

دوائر الحجر الصحي

يعود اهتمام الدولة العثمانية بنظام الحجر الصحي إلى عام 1841م عندما أصدرت في هذا العام نظام (الكرنتينية)، أعقب ذلك إصدار مجموعة من الأنظمة والتعليمات الفرعية حتى إصدار نظام الإدارة العمومية عام 1871م الذي أولى جانباً من اهتمامه لموضوع الحجر الصحي، إذ اوجب هذا النظام على دوائر الحجر الصحي الفرعية إرسال التقارير الدورية مبينة فيها الواقع الصحي لهذه الدوائر[79].

وفيما يخص دائرة الحجر الصحي في ولاية بغداد [*]، فالمعلومات المتوافرة لدينا قليلة عن نشاطات هذه الدائرة قبل عام 1869م وتحديداً قبل فترة ولاية مدحت باشا، وابتداءً من هذا العام عني الوالي (مدحت) بتنظيم هذه الدائرة فضلاً عن افتتاح العديد من الدوائر الفرعية التابعة لهذه الدائرة [80]، وتحديداً في مدن خانقين [81] ومندلي وعدد من مدن العتبات المقدسة وذلك لكثرة الزوار الإيرانيين الذين يفدون

(79) للاستزادة في التفاصيل حول نصوص مواد هذا النظام والخاصة بتشكيلات هذه الدوائر وابرز المهام التي أسندت إليها. يراجع، نوفل، المصدر السابق، م1، ص ص 762-812.

(*) عرفت هذه الدوائر في بداية تأسيسها بـ (مديرية كرنتينسة بغداد) ثم تغير اسمها في تسعينات القرن التاسع عشر إذ صارت تعرف بـ(مفتشية صحة الولاية). سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة، مطبعة دار المعرفة، (بغداد، 1954)، ص 89؛ ومن المفيد بالإشارة أن الهيكل الإداري لهذه الدائرة تألف من مدير كان طبيباً في غالب الأحيان، وفتشا لدوائر الحجر الصحي الفرعية ومحاسب وعدد من الموظفين، للاستزادة: سالنامة ولاية بغداد، لسنة 1292هـ/ 1875م، ص7.

(80) Roderic H. Davison, Reform in the ottoman Empire 1856-1876, (New Jersey, 1963), p. 161.

(81) تألفت إدارة كرنتينسة خانقين من طبيب، رئيس كتاب، كاتبين، موظف مختص لفحص الجنائز التي تدخل إلى الولاية. انظر:

Vital Cuinet, La Turquied, Asie, (Tom 3), (paris, 1894), p. 72.

إليها والحيلولة دون انتشار الأوبئة والأمراض. أما ابرز المهام التي أسندت إلى هذه الدوائر فهي: فحص الجنائز التي ترد إلى المدن المقدسة تمهيداً لدفنها مع إعطاء الأولوية للجنائز التي مضت فترة طويلة على وفاتها على الجنائز الحديثة للحيلولة دون انتشار الأمراض [82]. كما تولت دوائر الكرنتينة الفرعية مهمة الإشراف الصحي على دخول الزوار إلى العتبات المقدسة، إذ شددت هذه الدوائر من إجراءاتها عند ظهور أي وباء في المدن الإيرانية إذ كانت تقوم بحجز الوافدين مدة عشرة أيام قبل التصريح لهم بالدخول [83]. وفي مقابل ذلك فرضت هذه الدوائر رسوماً على الزوار الداخلين وعلى الشكل الآتي:

أولاً: رسم عشرة قروش يتم استيفاؤه من كل زائر[84].

ثانياً: رسم فحص مقداره (50) قرشاً عن كل جنازة يتم دفنها في مدن العتبات المقدسة.

ثالثاً: رسوم فحص كل جثمان يدخل إلى الولاية ليدفن في مدن العتبات المقدسة[85].

وعلى الرغم من ضخامة الإيرادات التي كانت تستوفيها هذه الدوائر والتي وصلت عام 1322هـ/ 1904م إلى سبعمائة وواحد وخمسين ألفا وثلثمائة واثنين وأربعين قرشا[86]، إلا انه لم يتم استغلال هذه الإيرادات لتحسين الأوضاع السلبية التي كانت تعاني منها هذه الدوائر التي انعكست سلباً على عمل هذه الدوائر التي

(82) مجلة العلم (بغداد)، العدد (3)، المجلة (2)، رمضان 1329هـ/ 1911م.

(83) جريدة الزوراء، العدد (95) في 22 شعبان 1287هـ/ 1870م.

(84) Cuinet, op. Cit., p. 13.

(85) Ibid.

(86) ياسين شهاب شكري، ولاية بغداد 1872-1909، دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، (جامعة الموصل، 1994)، ص 86.

افتقرت بداياتها إلى ابسط الشروط الصحية، فهي عبارة عن خيم وصرائف تمَّ تشييدها على ارض رطبة يلاقي فيها نزلاؤها الامَرَين لا من حيث الرطوبة فحسب بل لما يقدم إليهم من طعام رديء وماء ملوث، لدرجة أن بعض الأصحاء يقعون صرعى المرض في تلك البنايات التي كانت تفتقر إلى ابسط الشروط الصحية [87]، ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل وجهت الانتقادات إلى موظفي تلك الدوائر بسبب تزمتهم وتشددهم في مراقبة القادمين إلى العراق في فترات خلو المنطقة من الأمراض وتساهلهم في فترات ظهور الأوبئة، وكذلك لجوؤهم إلى أساليب الرشوة وعلى حد رأي احد المصادر فأن بـ (إمكان كل فرد أن يشتري السماح له بدراهم معدودة) [88]، دون أن تكون أهدافهم الحرص على منع دخول الأفراد والبضائع المصابة، فمثلاً اجتاح مرض الطاعون ولاية بغداد مرات عدة في الأعوام 1873، 1875، 1877، 1881، 1901م، واتخذ في بعض السنوات شكلاً وبائياً[89].

استمر تردي الحالة الصحية على ما هي عليه حتى الاحتلال البريطاني لولاية بغداد في آذار 1917م.

(87) حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، (بغداد، 1980)، ص53.

(88) لونكريك، المصدر السابق، ص380.

(89) ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة مصطفى جواد، ج2، (بغداد، 1967)، ص ص 146-149.

الخاتمة

من خلال هذه القراءة السريعة للواقع الصحي لولاية بغداد للفترة 1869-1914 يمكن ملاحظة ما يأتي:

إن تردي الأوضاع الصحية في عموم هذه الولاية كان جزءاً من حالة عامة عاشها العراق خلال فترة السيطرة العثمانية وهي نتيجة طبيعية يمكن إيعازها إلى مجموعة من الأسباب التي نوجزها بالنقاط الآتية:

أ. كان لتقصير أداء الدوائر البلدية في المهمات التي أسندت إليها ونخص منها بالذكر تلك المهمات التي تتصل اتصالاً مباشراً بصحة الإنسان، لاسيما تلك التي تتعلق بإسالة المياه وتعقيمها والافتقار إلى شبكات الصرف الصحي وغيرها من الخدمات البلدية الأخرى انعكاساتها السلبية في تردي الحالة الصحية لعموم الولايات العراقية ومنها ولاية بغداد.

ب. قلة أعداد المستشفيات الحكومية التي تم تشييدها خلال هذه الفترة فحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى لم يتجاوز عدد المستشفيات التي تم تشييدها الـ (5) مستشفيات، وقدر تعلق الأمر بالتوزيع الجغرافي لهذه المستشفيات، يلاحظ تركزها بشكل أساسي في مدينة بغداد - المركز- أما الاقضية والنواحي التابعة لها فانعدمت فيها مثل هكذا خدمات باستثناء المستشفيين اللذين تم تشييدهما في قضاء كربلاء.

ج. لم تسلم هذه المستشفيات هي الأخرى من السلبيات التي تم التطرق إليها عبر صفحات هذا البحث والتي يأتي في مقدمتها افتقار هذه المستشفيات إلى التخصصات المالية الكامنة للنهوض بواقع هذه المستشفيات من خلال زيادة طاقاتها الاستيعابية وتجهيزها بالأجهزة الطبية المتطورة، اما المشكلة الثانية فيمكن إيجازها بقلة

الملاكات الطبية المتخصصة، إذ بقيت هذه المشكلة إحدى المشاكل الرئيسة التي أعاقت تقديم الخدمات الصحية حتى نهاية العقد الأول من القرن العشرين عندما انخرط الرعيل الأول من العراقيين من خريجي الطب من الجامعات الأوربية في العمل بهذه المستشفيات ومن ثم تقديم الخدمات الطبية للمواطنين.

د. فشل دوائر الحجز الصحي (الكرنتينسة) التي تولت الإشراف على زوار العتبات المقدسة إلى ولاية بغداد عن القيام بمهامها بفعل عوامل عدة يقف في مقدمتها تفشي ظاهرة الرشوة بين موظفيها مما قاد في النهاية إلى انتشار عدد من الأمراض الوبائية التي راح ضحيتها عدد كبير من السكان وفي مناطق مختلفة من العراق ومنها ولاية بغداد.

لم تبدِ السلطات العثمانية أي اهتمام للنهوض بالواقع الصحي للعراق بوجه عام وولاية بغداد بشكل خاص واقتصر ذلك على جهود فردية لبعض الولاة وبقيت الحالة المتردية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد في آذار 1917م.

Abstract

Health Services in Baghdad (1917-1869)

Dr. Luma Abd Al-Aziz(*)

Health is considered as one of those social entities concerned with the enonomic relations between people. it reflects the social condition and its progress. Thus we can observe the spread of desease among underdeveloped societies .

Iraq witnessed under the Ottoman empire which extended for four centuries, the most bad condition of poverty, sickness and illiteracy. The conditions caused the spread of diseases such as measles mumps .

The Ottoman conquest showed no interest in the health of Iraqi people especially in Baghdad except some personal efforts exerted by Medhat Pasha who made the first public hospitals. these hospitals had been paid no attention with the end of the Ottoman empire, they were only five hospitals.

Yet those hospitals faced many problems in their duty in treating people due to the lack of financial allocations such as the capacity and their supplies with medical equipments. The second

(*) Dept. of History - College of Arts / University of Mosul.

problem was the lack of the qualified cadres who were specialzed in various medical fields. This was the most problem which remaind till the first decade of the 20th century till the Iraqi pioneering of doctors graduated from the colleges of medicine.

Another negative point was concerned with the geographical distribution of the doctors, and medical centers. They were gathered in Baghdad except for some centers in Karbala. What made the situation worse was the failure of the whole medical situations concerned those visitors of the sacred shrines which caused the spread of diseases and caused a large number of deaths especially in Baghdad.